استبدالات القراءة: نحو مفاهيم استراتيجية

إسماعيل شكري (*)

جامعة جازان

(قدم للنشر في ٢٥/ ٦/ ١٤٣٦ هـ ؛ وقبل للنشر في ١٣/ ١١/ ١٤٣٦ هـ)

ملخص البحث : يمكن اعتبار قراءة النص الأدبي أو الخطاب بشكل عام هندسة وتخطيطا استراتيجيين للتأويل، حيث تقتضي كل قراءة رصينة الانسجام مع موضوعها ومع منهاجيتها كذلك . فتتمثل حدود المفاهيم المركزية المهيمنة وآفاقها بشكل ظاهر أوخفي على خطاب النقد المعاصر الحافل بتفاعل استبدالات فلسفية معرفية، وهي: استبدال الأطر التي تحوي النسق المقولي، واستبدال المقصدية التي تحفز العوالم الممكنة، ناهيك عن استبدال التعيين الذي ينشط آلية التشاكل البلاغية. فالقراءة، بهذا المعنى، عملية ذهنية مركبة تساهم في إعادة بناء انسجام العالم، وليست مجرد ترف أو لعباً لغوياً... تلك هي الاستبدالات الأساس المهيمنة على الدرسين البلاغي والنقدي المعاصرين؛ مثل تحليل لايكوف وإيكو وجماعة مو لخطابات شعرية وبلاغية يومية أو بصرية، فكيف تتمفصل علاقات التنافذ والتفاعل بين أصولها المعرفية ومفاهيمها الإجرائية اللسانية والبلاغية ؟

الكلمات المفتاحية: التأويل، القراءة، الأطر، المقصدية، التشاكل، العوالم الممكنة.

*****

Paradigms of Reading: Towards Strategic Concepts

Ismail Choukri (*)

University of Jizan

(Received 14/04/2015; accepted 07/09/2015)
DOI: 10.12816/0015524

Abstract: We defend through this study the thesis of interactive interpretation; we consider the act of reading discourse as an engineering and planning strategic interpretation which requires harmony with frames, intentionality and possible words as well. According to this perspective, the main contemporary criticism strategy is the focus on language act, the meaning of meaning which philosophically and cognitively integrated in three paradigms: The first is: Frames Paradigm which analyzes Conceptual Categories in the act of criticism. The second is the Paradigm of Intentionality where we find the Interfaces between Text Intentionality, Author Intentionality and the Reader Intentionality. The thirst is Identification Paradigm that deals with the Cognitive and Linguistic Rhetoric of Isotopes; Metaphors, Metonymies as Cognitive Mechanisms of the Coherence with the world (Lakoff, Group Mu, Eco……).

Key Words: Interpretation, Reading, Frames, Intentionality, Isotopy, Possible worls.

(*) باحث في البلاغة والنقد، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية.

(*) Researcher in Rhetoric and Criticism, University of Jizan , Saudi Arabia.

e-mail: choukrismaine@gmail.com

١ــ الفرضيات:

تروم هذه الدراسة البحث في الفرضية الآتية:

يحفل سجل النقد العربي الحديث، في سياق تراكم قراءات النص الإبداعي، بمفاهيم متعددة تنتمي إلى مختلف الحقول المعرفية الإنسانية؛ من قبيل مدارس تحليل الخطاب، واللسانيات، ونظريات التلقي، والسميائيات، ونظريات الحجاج، وغيرها، غير أن طرق اشتغال هذه المفاهيم (منظورات الحد والبناء والتظهير..) تتسم بهيمنة معيقات منهاجية وابستمولوجية عدة تؤثر في التلقي النسقي والديداكتيكي لأطرها المعرفية من جهة، وتشوش على توطين المفاهيم والمصطلحات في النسق اللغوي العربي توطينًا سليمًا من جهة أخرى. ولذلك اتبعنا في هذه الدراسة، خطة الشرح والاستنتاج؛ لتنبيه القارئ العربي إلى صحة المفهوم في أصوله، وإلى طريقة توظيفه.

هكذا يقتضي التحقق من هذه الفرضية، وتجاوز نتائج القراءات النقدية اللانسقية تتبع استراتيجية تشييدية توسم بإعادة بناء المفاهيم انطلاقاً من مقتضيات أصولها المنهجية والمعرفية، وبالنظر إلى علاقات التناسب والانسجام بين مقصديات الإنتاج والقراءة والتلقي، ناهيك عن الحاجة إلى الربط الضروري والكافي بين تلك المقصديات وسبل تحيينها ـــ تظهيرها بواسطة آليات بلاغية هي بالأساس بلاغة التشاكل بوصفها ذكاء معرفياً ألا تقتصر وظيفته على تنشيط صناعة القراءة فحسب، بل تشمل العمليات البنائية لتشييد انسجام العالم كذلك.

من هنا فصناعة القراءة بوصفها هندسة وتخطيطًا استراتيجيين للتأويل تقتضي الانسجام مع موضوعها ومع منهاجيتها كذلك، ما يعني أن القراءات الرصينة تتمثل وفق منظورنا هذا حدود المفاهيم المركزية المهيمنة وآفاقها بشكل ظاهر، أوخفي على خطاب النقد المعاصر؛ حيث إن كل قراءة لنص ما تضمر استبدالًا معرفيا فلسفياً أي نسقًا متكاملاً من التصورات المنسجمة الذي قد يتحدد بالضرورة في استبدال من الاستبدالات الآتية: استبدال الأطر التي تحوي النسق المقولي، واستبدال المقصدية التي تحفز العوالم الممكنة، ناهيك عن استبدال التعيين الذي ينشط آلية التشاكل البلاغية.

ـ تلك هي الاستبدالات الأساس المهيمنة على الدرسين البلاغي والنقدي المعاصرين؛ مثل دراسات لايكوف وإيكو وجماعة مو لخطابات شعرية وبلاغية يومية أو بصرية...

بيد أن البحث في حدود استبدالات القراءة، كما هي في أصولها المعرفية، يقتضي أولاً توضيح علاقات التنافذ والتفاعل بين تصورات شائعة عند نقادنا العرب دون إدراكهم لطبيعة التعالق الوارد بينها؛

خاصة مفاهيم القراءة والتلقي والبلاغة، حيث لا يعرف الكثيرون أن قراءة النص أوالخطاب تمر بالضرورة عبر تفاعل هذه المفاهيم الثلاثة .

فعلى سبيل المثال، ليس لمفهوم القارئ الضمني Lecteur implicite في أدبيات نظريات التلقي وجود واقعي؛ لأنه يمثل مجموع التوجيهات النصية الداخلية التي تجعل كل نص قابلاً للقراءة والتلقي، إذ لا يصبح النص حقيقة إلا إذا تمت قراءته ضمن شروط التحيين التي من المفروض أن يحملها بنفسه، حيث إن هناك إعادة بناء المعنى من طرف الآخر؛ أي أن التلقي يعتمد على موجهات نصية محلية بالدرجة الأولى (إيزر ،١٩٧٦، ص: ٦٠ ــ ٧٠)، قد تتلاءم أو تتناقض مع مقصدية القارئ، إذ إن نجاح قراءة ما ليس مرهونًا بمدى تلاؤم كل من مقصديتي المنتج والمتلقي .

من ثم راهنت نظريات التلقي (ياوس وأيزر وغيرهما) على ربط القراءة بالتاريخ وبتعدد القراء أنفسهم مما يؤشر على انخراط النص ذاته في إعادة تشييد المعنى وتوجيه المتلقي وفق مبدأ "التأويل المحلي".

غير أن القراءة بهذا المعنى لا يمكن إلا أن تشكل موضوعًا لدراسة مختلف الظواهر اللسانية والدلالية والمعرفية والسيميائية ضمن منظومة أكبر هي البلاغة العامة.

وبذلك يشتغل التلقي بآليات البلاغة التي تحاور بدورها ظواهر التلقي انطلاقاً من البحث في العلاقة التفاعلية بين المنتج، والمتلقي، والنص، وفي كيفية إنتاج الكثافة البلاغية Rhetorical intensity في الخطاب (شكري ٢٠٠٩).

وعليه تتدخل بلاغة القراءة بوصفها أطرًا محوسبة في الدماغ لتنشيط عمليات التأويل عبر التفاعل مع المعطيات النصية؛ أي أنها تقدم تجارب القارئ في نسق من التأويلات المشيدة محلياً بواسطة التشاكلات اللامتناهية التي تحفزها الملكات البلاغية.

هكذا تطورت بلاغة القراءة في اتجاه الانفتاح على الظواهر التواصلية بمعناها العام مستفيدة من نتائج اللسانيات والسيميائيات، وعلم النفس المعرفي، وعلوم الإعلام والذكاء الاصطناعي، وذلك قصد الإحاطة بمختلف الظواهر موضوع التفسير والتأويل البلاغيين، أي موضوع التلقي . وهذا يعني بالأساس أن عمليات التلقي بوصفها عمليات معرفية وتاريخية يتم تنشيطها بواسطة قوالب بلاغية يوظف من خلالها الإنسان ذهنه وجسمه (لا يكوف، ١٩٨٧).

وعليه ننبه إلى أن قراءة الخطاب هي تأويل لمكوناته عبر عملية التلقي التي توظف آليات بلاغية تشاكلية مبرمجة في الدماغ بحسب النظرية المعرفية .

بناء على هذه الأدوار المتبادلة بين التلقي والبلاغة تتمفصل القراءة بوصفها هندسة للتأويل؛ أي تخطيطًا

استراتيجيًا يفترض تحديد الحاجات والأهداف والوسائل الكفيلة بإنتاج قراءة تشييدية نسبية لا تسقط في فخاخ التسرع والغموض والتناقض المنهاجية .

من ثم، نقدم شرحًا تكوينيًا لاستبدالات القراءة المعاصرة التي استخلصناها آنفًا وهي: استبدال الأطر، استبدال المقصدية، واستبدال التعيين .

٢ــ استبدالات القراءة

٢-١- استبدال الأطر

تلعب المقولات، خلال عملية القراءة دوراً أساسيًا في بناء معرفة أو مؤولة ما، لأن معظم تفكيرنا لا ينصب على المفردات والعناصر في ذاتها، ولكنه ينصب أساسًا على المقولات التي يمكن تعريفها بكونها تصورات وتمثلات حول العالم . وبذلك لا تقبل الدلالة المعرفية اعتبار المقولات التصورية مرتبطة مباشرة بأشياء في العالم الموضوعي. ذلك أن حالات مختلفة يجب مراعاتها؛ وهي دور الأنماط التخييلية للذهن (التنظيم الإطاري والاستعارة والكناية ...) في تحديد طبيعة المقولات، إضافة إلى طبيعة الجسم الإنساني (الكلام والإدراك) التي تحدد بعض أنماطها. وفي الحالتين معًا ليست المقولة انعكاسًا أو تمثيلاً للواقع، بل إن الجسم الإنساني وقدراته التخييلية، يساهمان أساسًا في تحديدها.

وينسجم هذا التصور مع المنظور الدلالي اللساني (راستيي ١٩٨٧) الذي يرفض صياغة علاقة مباشرة بين المقومات (السمات المحايثة للكلمات) والمرجع، بل يذهب إلى دحض التصور الذي يدعي توفر الدلالة المباشرة على الصدق بالمقارنة مع الواقع (النظرية الاسمية مثلاً). وبذلك لن نعتبر المقومات خصائص للمرجع، خاصة أن مفهوم "واقع المتكلم" (فوكونيي ١٩٨٤) يقتضي أن لا تعقد الروابط التداولية علاقات بين الواقع في ذاته والتمثيلات، بل إن هذا الواقع نفسه تمثيل ذهني للعالم الخارجي لدى المتكلم الذي قد يخطئ في إسناده بعض الخصائص إلى الأشياء الموجودة في العالم.

وبذلك فطبيعة العلاقة بين العالم الطبيعي والشيء وخصائصه تدفعنا إلى ضرورة التمييز بين الخصائص الأساسية والخصائص الثانوية. فالأولى - تمتلكها الأشياء باعتبارها جزءًا من طبيعتها، أما الثانية- فهي المنسوبة للأشياء بفعل تدخل جهازنا الإدراكي . ومن ثم يدافع (لايكوف، ١٩٨٨) عن الخصائص الثانوية المميزة لمقولاتنا الذهنية انطلاقاً من القول بأن مقولة [اللون] – مثلاً - لا توجد موضوعياً في العالم، بل تحدد بواسطة الجهاز العصبي ــ الفيزيولوجي ــ وبواسطة الأدوات المعرفية الكلية إضافة إلى الاختيارات الثقافية المحددة . وعليه فمقولات اللون مقولات غامضة في حدودها المقولية، مادامت تتغير بشكل كبير من ثقافة إلى أخرى، مع العلم أن الألوان المركزية لا تتغير كثيرًا، لكن تطرأ عليها تغييرات بفعل

التحديـدات الثقافيـة. ومـن هنـا فتبنـي أطروحـة الخصائص الثانوية ينسجم ومنظور المعرفة التجربانيـة الذي لا يفصل العالم الخارجي عن التجربـة الإنسـانية وما يترتب عنها من بنيات معرفية دون أي إغفال لدور التفاعل بين الخصائص الأساسية والثانوية وأهميتـه في إنتاج المعرفة الإنسانية.

وإذا كان للمقولة مستوى أساس ، Basic level فإنه ليس المستوى الأعلى الذي تقل فيه المقومـات المشـتركة بين موضـوعاته مـن قبيـل " إنسـان " ، "حيـوان"، "أثـاث"، ولا المسـتوى الأدنـى الـذي يكـرر معظـم المقومـات المشـتركة ويضـيف إليهـا بعـض المقومـات الخاصة المتعلقة بموضوعات مثـل "كلـب السـباق"، "سيارة رياضية"، " علي" ، " كرسي متحرك " ...، بـل إنـه في وضـع وسـط معرفيًـا. ذلـك أن المسـتوى الأساس المناسب للمقولة [قـط] – مـثلاً – هـو الـذي يتفاعل فيه الإنسان مع محـيط القطـط، فيطـور ويخـزن المعلومات بشكل فعال. وهـذا يعنـي أن هـذا المسـتوى الأوسط يرتبط بالإدراك، حيـث نجـد الشـكل المـدرك كليًا والصورة الذهنيـة المفـردة والتعيـين الثابـت. كـما يـرتبط بالوظيفـة؛ أي بـالبرامج المحركـة العامـة، وبالوظائف الثقافية العامة. كذلك إضافة إلى أنـه يتـوفر عـلى خاصـية تواصـلية مـن خـلال توظيـف الكلـمات المشـتركة، بـالنظر إلى كونـه أول مـا يتعلمـه الأطفـال، ومفتاح الدخول إلى المعجم، وله علاقة بالتنظيم المعرفي.

إن معرفة العالم تتم من خلال مقـولات باعتبارهـا صـورًا ذهنيـة تـترجم في اللغـة إلى وحـدات دلاليـة متضمنة لمقومات ضرورية لمعرفتها. وبـذلك، يمكـن، في نظرنا، اعتبار هذا المستوى الأساس مستوى تجريديًا ضروريًا للمقومات الجوهرية ذات المـؤشرات العاليـة الضرـورية بـدورها لمعرفـة الوحـدات الدلاليـة لهـذا المستوى. فمثلاً، المقوم [+ محرك] مؤشر قوي دال على انتماء المقولة [سيارة] إلى المستوى الأساس. ومن هنـا فإن تحديده يتم وفق أذهاننا وأجسامنا؛ أي تبعًـا لـنمط تفاعلنا مع عالم السيارات، انطلاقا مـن تنظـيم معـرفي وأهداف ثقافية محددة، واضحة المعالم، وموسومة بنسق تمثلي خاص للأكوان.

إذن يختـار القـارئ تـأويلات للـنص مـن خـلال التصورات التـي يخزنهـا في ذهنـه عـن العـالم بأشـيائه وخصائصه، وهـذه التصـورات هـي المقـولات مثـل مقولة اللون أو مقولة الأسبوع أو مقولة المرأة....الخ .

بيـد أن تحديـد المقـولات يسـتند إلى الأطـر Frames Categories التي صاغها منسـكي (١٩٨٦)، حيث تشكل نظاماً معرفياً مكتسباً ويـرتبط بالتجربـة الفردية والاجتماعية؛ ومن الأمثلة التي تتداولها الدلالة المعرفية بخصوص هذا المفهوم، تحديد ماهية أحد أيـام الأسبوع (الأربعاء ، مثلاً) الذي لا يمكن معرفة معناه إلا بمعرفة ماهيـة الأسـبوع وكيفيـة تبنينـه. ذلـك أن الأسابيع – الإطار ليست شيئًا موجودًا في الطبيعة، فلا

يمكن تقديم تعريف موضوعياني يحددها، خاصة أن الثقافات تختلف في تصورها لمفهوم اليوم والأسبوع ... أي المسافة والامتداد فيترتب عن ذلك أن الأسابيع - الإطار إبداع تخييلي للذهن الإنساني مرهون بالروابط التداولية؛ أي بالشروط الثقافية والاجتماعية. وهكذا تعتبر تلك البنيات التخييلية أطرًا يكمن فيها أساسًا واقعنا الثقافي الخاص، كما تؤكد ذلك الأنثروبولوجيا المعرفية المعاصرة . وهذا ما يدعو - من وجهة نظر دلالة الإطار - إلى تحديد دلالة الكلمات بواسطة الأطر(فيلمور ١٩٨٢ ب).

فتحديد كلمتي: الأربعاء، والعازب لا يتم إلا بواسطة الأطر التي تمثل حالات خاصة للنماذج المعرفية المؤمثلة؛ فكلمة عازب تحدد ضمن الشروط الضرورية والكافية المناسبة لنموذج معرفي مؤمثل خاص ببنية اجتماعية معينة، وليس بالواقع في ذاته.

إن الرجوع إلى النموذج المؤمثل: كل واحد من الجنسين يشتهي الآخر، والزواج ذو طبيعة أحادية، والناس يتزوجون في مرحلة معينة من العمر ويظلون متزوجين بنفس الأشخاص - يفضي إلى تحديد المقولة [عازب] كالآتي: " رجل في عمر الزواج غير متزوج" . إن هذا النموذج المؤمثل لا ينسجم والشروط الثقافية للإنسان المسلم، إذ لا يطرح التساؤل ما إذا كان المسلم المرخص له بالزواج بأربع نساء وهو متزوج بثلاث فقط رجلاً عازباً أم لا . فإذا أردنا اعتباره غير متزوج، فذلك يتوقف على كيفية بسط تعريف الزواج وفق نموذج ذهني آخر(لا يكوف، ١٩٨٧).

ومن ثم يسعفنا هذا التصور المعرفي في ربط الكلمات بالأطر قبل تحليلها إلى مقومات؛ كأن نربط اليوم بإطار الأسبوع، والزكاة بإطار الإسلام، والصليب بإطار المسيحية.... وهو ما يؤشر على أن المقومات غير منفصلة عن النماذج المعرفية المؤمثلة (النظام المعرفي الثقافي الاجتماعي)، وبالتالي يمكن للمقومات العرضية (غير الجوهرية) أن تمثل تغييرات في بعض مظاهر النموذج المؤمثل .

هكذا، إذا كانت قراءة النص عملية بلاغية ذهنية فهي تعتمد على مقولات: عبارة عن تصورات حول العالم وأشيائه، لكنها تستند في بناء هذه التصورات إلى أطر أو نماذج معرفية تمثل النسق الفكري العام الذي تفرضه الثقافة والمجتمع. لكن قراءة النص بناء على مقولات وأطر تؤدي إلى بناء عوالم ممكنة متخيلة بتحفيز من المقصدية: فكيف يتم ذلك ؟

٢-٢ استبدال المقصدية :

نعتبر تحديد مفهوم العوالم الممكنة، Possible Worlds كما ينظر إليه من زاوية التحليل الدلالي لمنطق الموجهات Modalities (القضايا الضرورية و القضايا الممكنة) مرحلة أساس لمعرفة خصائص الهويات وتنافذها إلى بعضها البعض في آن:

تكون القضية ممكنة إذا توفر على الأقل وضع متخيل واحد.

حيث تكون القضية صادقة. ومن هنا يتم التعبير عن مثل هذه الأوضاع المتخيلة بواسطة مفهوم إجرائي هو العوامل الممكنة. ويقترب " المتخيل " هنا من نظرات الغزالي الذي يعتبر الإمكان قضاءً عقلياً؛ "يوضع وضع مجموعة من القضايا أو من الأحكام". بمعنى أن الإمكان تصور عقلي وليس شيئًا موجودًا مستقلًا بذاته ، بل إن الواقع وحده هو الموجود المستقل.

وقد نجد أحيانًا إلصاق مفهوم العوالم الممكنة بعبارة "حالات الأعمال"، فتحدد القضية- تبعًا لذلك- بكونها مجموعة من العوامل الممكنة، والعالم الممكن هو كل " حالة للأعمال ". وفي هذا السياق ركزت أطروحات الفيلسوف هينتيكا على فرضية أساسية، هي أن إسناد الأوضاع القضوية إلى الذات يقتضي تقسيم "العوامل الممكنة "، باعتبارها قابلة للتمايز في اللغة، إلى مجموعة أولى تنسجم والوضع المنسوب، وإلى مجموعة ثانية تضم " العوالم الممكنة " المتعارضة مع هذا الوضع. ويعني هذا التقسيم تمايز الأوضاع كذلك من قبيل المعرفة والاعتقاد والأمل والاختيار والرغبة... الخ.

ومن ثم، فإن العالم الممكن يستدعي وجهة النظر Point of view وبالتالي عالماً أشمل هو عالم المقصدية. فإذا جاز القول بتعدد العوالم الممكنة (ليبنز والغزالي) افترضنا من جهتنا وجود " عالمين ممكنين " على الأقل هما: "العالم الممكن للمنتج"، و" العالم الممكن للمتلقي " تبعا للقطبين الأساسيين اللذين يشاركان في صنع القرار اللغوي في زمان ومكان معينين . والعلاقة بين العالمين تفاعلية وودينامية محكومة بشرطي التأويل وهما: المقصدية، والسياق. بيد أننا نفترض كذلك أن للمجتمع عالمه الممكن وللأطر الاجتماعية وللتاريخ والخيال والفن..إلخ عوالمهم الممكنة.

إن تبني مفهوم العوالم الممكنة باعتباره آلية معرفية يسعفنا في تحديد أشكال التعيين لبناء التشاكلات في قراءة النص الأدبي انطلاقًا من التغير والمقصدية، مما يساهم في انسجام العوالم وتوالدها . لكننا ننبه مع ذلك القارئ إلى عدم التفكير في الحمولة الميتافيزيقية لهذا المفهوم، التي توحي بعوالم "عظيمة"، "مثالية"، في حين أن المقصود - كما يقول هينتيكا- هو متواليات للأوضاع بما هي عوالم صغيرة مميزة. ولذلك تجد هذا الفيلسوف يتحاشى أحيانا كثيرة استخدام عبارة "العوالم الممكنة " ويوظف في المقابل عبارات من قبيل "الأوضاع الممكنة " أو " السيناريوهات الممكنة " .

وبالنظر إلى مبدأ الإمكان فإن العوالم الممكنة تتميز بالتعدد حيث يكون عالمنا الحالي واحداً منها على

الأقل، بينما الباقي لا يمثله، بل تتعالق العوالم بواسطة التنافذ الذي يتسم بالتشاكل؛ من قبيل التوازي أو التناسب أو التناظر...إلخ انطلاقًا من آلية التعيين المعرفية، ناهيك عن أن هذه العوالم تسند قيم الصدق إلى قضايا حالات وعوالم غير حالية.

وبذلك، فالواقع أو الحالات التي تتحدث عنها دلالة الموجهات ليست سوى واقعًا معرفيًا متعددًا يبسط مساحات للصراع والحوار بين المنتج، والمتلقي، والنص، كما تنظر لذلك الدلالة المعرفية، فتصبح الحالية والواقعية قضايا نسبية -وفق أطروحتنا - لإنتاج العوالم المتمايزة والمتفاعلة في آن. وهذا ما نثبته من خلال أطروحة: المقصدية التي تمثل المنتج الأساس لقراءة الخطاب في عوالم ممكنة مشيدة.

من هنا فبناء التأويل معناه تشييد نص آخر يحيل على عوالم ممكنة الوجود في الواقع المتعدد.

لكن هل نشيد العوالم بدون مقصدية ؟

إن الكلمة اللاتينية (القصد) هي نواة لاشتقاق مصطلح Intentio Intentionality

(المقصدية) الذي نعتبره مؤشرًا على حالات التمايز بين الهويات في قراءة الخطاب بشكل عام. ومعنى اللفظتين تمثل الذات للأهداف والمقاصد والدوافع الكامنة وراء " الأعمال" التي تقوم بها، أو تنوي القيام بها، مما يسم تمايزها لكونها محوجزة حاسوبيًا؛ أي على مستوى علاقة الدماغ بالذهن.

بيد أن مفهوم المقصدية تم تناوله من زاويا مختلفة ضمن حقول معرفية متعددة كالفلسفة وعلوم الإدراك والمنطق والدراسات اللسانية والسيميائية . فقد نظر الظاهراتيون Phénoménologues إلى هذا المفهوم باعتباره خاصية للتجارب المعيشة للوعي. وفي هذا السياق ربط هوسرل (١٩٦٤) Husserl المقصدية بالصور العقلية وبالتجربة الواعية. ومن هنا يصبح الوعي قصدًا للمعنى، وبالتالي فالمقصدية نزوع الوعي نحو معناه .

إن الربط بين المقصدية والمعنى سيتخذ شكلاً آخر عند الفلاسفة التحليليينPhilosophes Analytiques

الذين زاوجوا بين المقصدية وتحليل المفهوم؛

فالمقصدية هي قبل كل شيء خاصية لغوية (أنسكوب، ١٩٥٧).

هكذا تنامت هذه الأطروحات ضمن ما سمي بـ علم دلالة العوالم الممكنة كما هو وارد لدى هينتيكا(1962، 1972)، (1975,1989)

حيث إن مقصدية المفهوم مرتبطة في نظر هذا الفيلسوف بالأوضاع بحيث يصبح العلم الخاص بالعوالم الممكنة بمثابة منطق للمقصدية.

إننا إن سلمنا بصحة هذه التصورات فمن الصعب تجاهل طباعها الميكانيكية، لأن المماثلة المطلقة بين المقصدية والمعنى غير واردة، خاصة أن المقصدية ما هي إلا حالة واحدة من حالات التحليل الدلالي، ثم

إن هـذه المماثلـة تغفـل جوانـب التفاعـل بـين المنـتج والمتلقي ولا تنظر إلا في " المعنى الثابت " أو الظـاهر دون المعنى الباطن أو المتغير التداولي، ناهيـك عـن أن المقصدية ليست حكرًا على "الأوضـاع القضـوية ". ولهذه الاعتبارات لن نعتمد، في تعريف المقصدية عـلى تصور فـودور(١٩٨٠،١٩٧٥) تحديـداً فقـط في هـذا المجال، حيث عاد إلى الإرث الظاهراتي، وبالضـبط إلى منجزات هوسرل، فألح على ضرورة دراسـة المحتـوى القصدي بمعزل عن أي مرجع أو حدث خـارج عـن الفرد.

من هنا نركز عـلى المقاربـات التداوليـة في اتجاههـا نحو صياغة نظريـة شـاملة حـول الأفعـال الكلاميـة، وبالتالي حول التواصل التفـاعلي بشـكل عـام آخـذين بالتطوير الهام الذي أدخله محمـد مفتـاح عـلى مفهـوم المقصدية. فقد استثمر المبادئ الكلية للنظرية التفاعلية والأسـس المعرفيـة للفلسـفة التشـييدية لصـياغة حـد دينامي للمقصدية يدخل في الحسـبان الأدوار المتبادلـة للمساهمين في إنتاج القرار اللغوي محاولاً بذلك تجاوز مفهوم الوظيفة التواصلية الناجحة الـذي يسـقط كـل تصـور قصـدي في تفسـير ميكـانيكي (أوسـتين، وجرايس، وسورل).

لهذا كله فإنه يجب أن يؤخذ بنظرية المقصدية بالمعنى الضعيف، إذ لا تحصل المطابقة بـين مقصـديتي المنـتج والمتلقي خـلال قـراءة الـنص إلا في أذهـان المنظـرين الميكانيكيين الذين يقفزون على دور المتلقي في العمليـة الخطابيـة، ويغضـون الطـرف عـن شروط التواصـل الأخرى.

هكذا تفرع المقصدية، في نظر مفتـاح (١٩٩٠ ب) إلى: مقصدية المنتج والمتلقي الحاضر، ومقصدية المنـتج المضمرة مع متلق معاصر له، أو متلق ليس بمعاصر له، ومقصدية المنتج المعلنة إزاء متلـق لـيس بمعـاصر لـه. المقصـــدية – إذن – درجـــات وأنـــواع: معلنـــة، ومضمرة، سياقية، وتفاعليـة محكومـة بشـروط إنتـاج الخطاب وتأويله .

وبـذلك فـالقراءة تشـييد للمعنـى اعـتمادًا عـلى مقولات تصورية حول العالم، وعلى أطر تمثل الأساس الثقـافي والاجتماعـي لتلـك المقـولات، ويترتـب عـن عملية البناء هذه التلفظ بعـوالم ممكنـة تخفـي مقصـدية القارئ بما هي عبارة عـن رغبـات ومعتقـدات توجـه "مطامعـه" المحفـزة في القـراءة، لكنهـا تصـطدم بمقصـدية المنـتج_المبـدع، وبمقصـدية الـنص ذاتـه فيحصل نسيج ذهني مركب من الحوار والتفاعل...

بيد أن هذه القراءة المركبة تتم بواسطة آلية التشاكل البلاغية، والتي نفسر طريقة اشتغالها انطلاقًا من مبـدأ معرفي هو التعيين .

٢-٣- استبدال التعيين:

يمكن اعتبار التعيين Identification

آلية معرفية تنشط التشاكل البلاغي بين العـوالم في

مجتمع الذهن، أو في المجتمع البشري، وقدرة إدراكية للعلاقات الممكنة بين الأشياء التي تشكل تجارب معروفة عند الفرد. وهو بذلك يقوم على أساس التفاعل مع المحيط، فينتج عن هذه المعرفة مجموعة من الظواهر هي:

ـ رد العنصر الواحد، أو مجموعة عناصر إلى فئة، أو مجموعة معينة، والعكس صحيح.

ـ المماثلة بين مجموعة من العناصر، والظواهر، يعني هذا الحصول على معرفة بواسطة " المطابقة " بين " الشيء المدرك " و"النموذج الذهني" .

إن البحث في قصدية التعيين، أوعدمها في قراءات الخطاب يتوزع بين زاويتين للنظر؛ إذ بالنسبة لمعالجة المفهوم في التحليل النفسي نجد التعيين بمعنى لازم هو " التماهي" باعتباره عملية لا واعية داخل سيرورة تكون الشخصية. لكن، بالنظر إلى علم النفس المعرفي نجد التعيين، بمعنى متعد؛ أي عملية معرفية قصدية. وهو نفس المعنى الذي نتبناه حيث نركز على المماثلة ووظيفة التمثيل والتفاعل. وهذا ما دفع بعض الباحثين (فان ديك ١٩٧٧، وفوكونيي ١٩٨٤)

إلى ربط التعيين بشروط إنتاج الخطاب وبالعلاقات التداولية على وجه الخصوص. إن الفرد يكون علاقات بين الأشياء ذات الطبيعة المختلفة لغايات نفسية وثقافية وتداولية (بومبيرج ١٩٧٧). ومن هنا نجد الوظيفة التداولية للتعيين عند فوكونيي (١٩٨٤) تمثل جزءًا من النماذج المعرفية المؤمثلة.
Idealised Cognitive Models

وقد تم تفسير هذه العلاقة التداولية ضمن روابط
Connecteurs

بالمعنى الذي يقدمه فيلمور، ولايكوف (١٩٨٢) (١٩٨٢). فالعوامل التي تشكل هذه النماذج عوامل نفسية وثقافية وتداولية مما يفرض متغيرات ممكنة من جماعة لأخرى، ومن سياق لآخر.

ذلك أن التعيين الحدثي يشتغل وفق سلسلة التعيينات التي تتخذ شكل الدمج والمماثلة بين مكونات الأوضاع مثل الحدث والحالة وما بينهما من تغير واتصال.

فعلى سبيل المثال نقرأ الاستعارة في النص انطلاقا من تعيين المشابهة الذي يحوي إسقاط عالم على آخر فتحصل المماثلة وانسجام العالم في ذهن المتلقي، فالحيوان الأسد يعين الوحدة الدلالية: الشجاعة في استعارة سلمت على الليث، والإنسان يعين الوحدة الدلالية: الجمال في استعارة ابتسم الربيع...إلخ

وهذا ما سندرسه في نماذج أخرى من التشاكلات الدلالية.

إن تأويل العوالم وبناء انسجامها يستند إلى آلية التعيين المعرفية؛ حيث ينزع الفرد إلى إسقاط عالم على آخر في شكل مشابهات للتواصل مع المحيط. غير أن التشكيل البلاغي لهذا التعيين يتمثل في آلية التشاكل.

إذن تسير بنا الاستراتيجية التشييدية في قراءة الخطاب بشكل متدرج، نحو صياغة الأسس المعرفية

التجربانية لعلاقة الذهن بالجسد، وبالتالي لعلاقتهما باللغة والعالم، وهي الأسس التي شكلت – في نظرنا – حوار المقصديات والعوالم الممكنة من خلال نظرية التشاكل.

فقد طرح ياكبسون (١٩٦٣)، فرضية أساس بخصوص الإطناب المؤطر للتشاكل في الخطاب، هي: أن الوظيفة الشعرية تحول مبدأ التكافؤ من محور الاختيار إلى محور التنظيم. وهي الفرضية التي دفعته لأن يجعل " التكرار " ميزة محددة للخطاب الشعري، أو الأدبية بشكل عام؛ إذ لا تهم – فقط – تكرار المتواليات الأساسية للرسالة، ولكنها تخص كذلك تكرار الرسالة نفسها في كليتها، مما يحولها إلى مقوم الاستمرار.

وبالرغم من الانتقادات التي يمكن توجيهها لهذا النموذج التواصلي، لاعتماده مفهوم " الوظيفة الشعرية " دون " الوظيفة البلاغية العامة " التي نعتمدها مرجعا لقراءة الخطاب، ولتجاهله مكون الزمن كخاصية أساسية للتراكب، شأنه في ذلك شأن النماذج البنيوية عموما، يمكن بالرغم من كل ذلك اعتبار الفرضية السالفة الذكر، قاعدة أساسية لتفسير وتأويل الصور البلاغية في الخطاب.

إن محور الاستبدال باعتباره يتضمن وحدات تتبادل المواقع في سياق معين – يؤشر على علاقات استبدالية توفر نفس السياق لكل هذه الوحدات، الشيء الذي يمنحها خاصيتي التشاكل Isotopie واللاتشاكل في الآن نفسه (راستيي ١٩٨٧). أما محور التراكب فيتصف بتوالي الوحدات في الزمان وبتآلفها وتنظيمها. وبتجاور المحورين وتآلفهما بواسطة انعكاس الأول على الثاني نحصل على " تماثلات " متعددة في التراكب ذاته، الشيء الذي يستدعي مقوم التكرار، مما يعني تحويل خاصية الإطناب Redundance.

من محور الاستبدال إلى محور التراكب، مادام الاستبدال حقيقة لكل تراكب، ولكل تجل للغة. من ثم فـ"اللغة البلاغية" – وهي مدار القراءة والتأويل في كل خطاب– تتميز دفعة واحدة بوحدة شكلية كبيرة: تكرارات صوتية وتوازيات... إلخ . وإذا كانت هذه اللغة تحتوي على انبناء خطي، فإنها في الوقت ذاته توظف قيودًا زمنية تهدم الخط الآتي من اللانهاية والمتجه نحو لا نهاية أخرى، خاصة أن إدراك الانبناء الخطي يتطلب إلى جانب تقدير العنصر المعطى بحسب قيمته الموضعية تقدير هذا العنصر بالنسبة لعناصر سابقة، أو لاحقة كذلك (جماعة مو).

فحل الشفرة البلاغية يستند بالأساس إلى" جهة دائرية " تربط القيمة المحلية لعنصر ما، بعنصر سابق نعود إليه. ويستند كذلك إلى توقع أوانتظار للعناصر اللاحقة. وهذا ما يشكل بطبيعة الحال انسجام النص ونموه.

يترتب عن هذه الأطروحة أن الاتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل يصير أكثر قوة وكثافة، وبالتالي فإن عدد وطبيعة الوحدات يضخم حصة تطور "التغذية الاسترجاعية " و " التغذية الأمامية " على السواء.

وعليه، فإطناب العبارة Isoplasmie ضروري إلى حد ما للوظيفة البلاغية، وبالتالي لقراءة الخطاب وتأويله تأويلا منسجما؛ وذلك لاعتبارات، منها: أن الرسالة غير البلاغية تجعل الإطناب المتعلق بمستوى العبارة لا يدرك في ذاته، أي: لا يثير الاهتمام لتأويله، بخلاف الرسالة البلاغية – مثلا – فاستقبالها يمثل في الحقيقة عملية تقويم للإطناب الذي يصبح دالاً. وبالتالي فإن هذا التقويم يمكن من حجز تشاكل جديد إيجابي وإشاري كذلك.

بيد أننا يمكن أن نقدم نقداً هاماً لهذا التصور غير التفاعلي. فإذا كنا نأخذ بعين الاعتبار الخصائص المميزة لكل من العبارة والمحتوى، وبالتالي نؤكد على البروز النسبي للعبارة في الخطاب الشعري بروزًا إدراكيًا من حيث إثارة المتلقي، فإن هذه الاعتبارات لا تعني إقامة حدود فاصلة بين المستويين، كما أنها لا تعني أن المحتوى يظل بعيدًا عن تأثير الوظيفة البلاغية.

ومن هنا، نتحفظ إزاء أطروحات جماعة مو١٩٧٧ التي تخصص حيزًا أكبر للصور البلاغية الزمنية على مستوى الدال على حساب تلك الصور نفسها على مستوى المدلول. ذلك أن الجماعة تجعل من الأنماط الزمنية الدلالية تنظيمًا زمنيًا للخطاب تجدر دراسته ضمن نظرية السرد، بل إنها عندما تخصص حيزًا لها في الخطاب الشعري تظل محاولتها محتشمة.

وعليه نتجاوز التصور البنيوي الضيق للجماعة الذي ينحصر في حدود نظرية الإيقاع بمعناها التقليدي، حيث نعتمد مفهوم التعدد المعنوي الذي يجسد ذلك التفاعل بين الدال والمدلول في إنتاج الوظيفة البلاغية الأساس في كل تلق أو تأويل للخطابات والعوالم.

بناءً على ما سبق، نستنتج أن القراءة تحتاج لمؤشرات نصية قصد بناء انسجام الخطاب، ولذلك يحمل كل نص ما يكفي من الإطناب على مستوى العبارة والمحتوى، مما يشكل تشاكلات بلاغية ضرورية لكل تأويل.

هكذا يُعرِّف أصحاب نظرية تحليل المقومات "التعدد المعنوي": بأنه استعمالان (أو أكثر) لنفس الوحدة المعجمية، بحيث يسندان لوحدتين دلاليتين تتقابلان على الأقل بواسطة مقوم واحد. وبذلك فتكرار الوحدة المعجمية الواحدة لا يعني تكرار الوحدة الدلالية ذاتها، إذ إن شرط التقابل أو الاختلاف في المعنى ضروري للتعدد المعنوي. ويتحقق ذلك بواسطة حذف، أو إضافة بعض المقومات كما هو الشأن في العلاقات الكنائية والاستعارية والتجنيسية. وقد تكون هذه المقومات عرضية أو جوهرية.

وبذلك فكل بروز جديد (تكرار) لوحدة معجمية ما يقتضي تعديلا في الوحدة الدلالية الأصل، وفق ما يقتضيه السياق (الداخلي والخارجي) محلياً، أو اجتماعياً، وبالتالي وفق تعدد الأطر ذاتها على النحو الذي قدمناه آنفاً. ولهذا الاعتبار نجعل من التعدد المعنوي مدخلاً لبناء التشاكل، وإطارًا نظريًا عامًا يختزل كل ظواهر التكرار المؤثر في المعنى سياقيًا.

إن تبني نموذجنا في التأويل للمنظورين الدلاليين: اللساني، والمعرفي، يقودنا إلى تجاوز بعض نظرات الاتجاه البلاغي العربي القديم الذي يعرف الجناس على أساس اختلاف المعنى، ويرفض اعتبار بعض أنماط التكرار جناسات. ذلك أن قصور هذا المفهوم عند بعضهم ناتج عن نظرة انطباعية. ومن ثم أغفلوا المعاني السياقية؛ الحوارية لما اعتبروا "التكرار" يحمل نفس المعنى. هذا ناهيك عن عدم توفر مفهوم الجناس عند أغلبهم على دائرة أوسع تشمل المجانسة الصوتية على طول السلسلة اللغوية. ولذلك جدير بنا أن نتجاوز هذا المصطلح من أجل بناء نظرية الجهة البلاغية التي يؤطرها مفهوم عام، أساسه التعدد المعنوي، وهو التشاكل.

لقد ظل الجناس أو التجنيس عند العرب القدامى محصورًا في الوحدة المعجمية دون النظر إلى تكرارالأصوات على طول السلسلة اللغوية إلا في حالة الحديث عن المعاظلة بالمعنى الوارد عند صاحب المثل السائر.

ومن هنا ارتبط التجنيس بالكلمة، وقامت التقسيمات الأولى على اعتبار الموقع والمعنى كما هو الشأن في التمييز بين التجنيس والتصدير، والتجنيس والاشتقاق . وهذا لا ينفي وجود اهتمام جزئي بالكم، الذي عبر عنه بالمطابق والمماثل غير أن اعتبار المعنى ظل حاضرًا. ولم تظهر النزعة الكمية الصرف إلا مع السكاكي وشراحه، فعند هؤلاء أهمل المعنى في التعريف، وأحيل إلى الهامش في التصنيف.

بيد أن القائلين أنفسهم بتجنيس الاشتقاق (قدامة والسكاكي مثلاً)، لما أهملوا شرط اختلاف المعنى لم يطوروا بذلك مفهوم الجناس، بل وضعوا نظرية المعنى في البلاغة العربية ضمن مأزق جديد، إذ لا يعقل أن ندعي عدم وجود اختلاف معنوي بين غالب ومغلوب، مثلاً . ذلك أن السياق بنوعيه، والنظر في البنية التركيبية الصرفية للصيغتين كفيلان بتحديد التعدد المعنوي لهما. أما بخصوص الاهتمام بالجناس الصوتي داخل الكلمة الواحدة فإن بعض الملاحظات الهامة، لم يتم تطويرها، مثل فكرة الخليل حول المجانسة الصوتية في كلمة: دهده، حيث إن التشاكل الصوتي وارد بين (دهـ) و(ده). كما أن حديث بعض البلاغيين العرب عن التجانس الصوتي الموزع على طول الملفوظ الشعري ظل مقتصرًا على الإشارة إلى المعاظلة كما هو واضح في تعليق ابن الأثير على البيت الشعري الآتي:

وقـــبر حرب بمكـــــان قــفر

وليـــس قـــرب قبر حرب قبر

بحيث قال: ((فهذه القافات والراءات كأنها في تتابعها سلسلة، ولا خفاء بها في ذلك من الثقل)) (ابن الأثير، ضياء الدين، ١٩٣٩، ص٢٩٦) .

وإذا كان جمهور البلاغيين القدامى (ابن حجة، مثلاً) قد اعتبر إعادة الكلمة الواحدة تكراراً لنفس اللفظ والمعنى، فإن الدراسات الشعرية الحديثة تعتبر التكرار الكلي للمعنى في نص فني أمرًا مستحيلًا. ولهذا فاختيار مفهوم التشاكل لقراءة الخطاب وتقديره أمر استراتيجي؛ لأنه يربط بين التكرار والمقصدية والسياق، الشيء الذي يضمن التعدد المعنوي لأي خطاب. إضافة إلى ذلك يسمح لنا مفهوم التشاكل بتبني جهة الأوضاع ضمن التشاكل الجهي الذي ينسحب على الوحدة المعجمية الواحدة. فمثلا، فعل: يلعب لا يؤشر على أية مجانسة دلالية بالمعنى البلاغي العربي القديم، لكنه في منظور نموذجنا يتوفر على تكرار نشاط اللعب في فترة زمنية معينة:

ـ كان سعيد يلعب في الشارع.

هكذا فظواهر التكرار التي لا يؤطرها مصطلح "الجناس" بالمعنى السابق، يعيد تقديرها "التشاكل"، كما هو بين في تحليل المثال الآتي: يقول الجرجاني: ((... أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتــــوت

فيه الظنون: أمَـذهَـبٌ أم مُـذهَـب

واستحسنت تجنيس القائـل:

حتى نجا من خوفه وما نجا

وقول المحدث:

ناظراه فيما جنى ناظـــــــراه

أو دعاني أمت بما أود عــــاني

لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني؟ ورأيتك لم يزدك بمَـذهَـبٌ أم مُـذهَـب على أن أسمعك حروفا مكررة، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة، كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، فبهذه السريرة صار التجنيس - وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة - من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع .

فقد تبين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به . وذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته،

وأحاله عن طبيعته)). (الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، د ــ ت، ص: ٤ ــ ٥)

لكن قراءة تشاكلية للتكرار في بيت أبي تمام الذي استضعفه الجرجاني، تبرز عكس ادعائه؛ أي تحدد وظيفة إيقاعية – دلالية بواسطة التشاكل الصوتي؛ فقد لعب الشاعر بالنواة: ذهب، إذ راكم الوحدات؛ ذهبت، مَذهَبٌ ، و مُذهَب، وهو ما ترتب عنه تشاكل صوتي وتباين دلالي بالنظر إلى المستوى التركيبي لهذه الوحدات؛ الفعل، الجار والمجرور .... ثم بناء على تعددها المعنوي باعتبارها وحدات دلالية Sémèmes ذلك أن ' مَذهَب ' تؤشر على ' المعتقد ' الذي يُذهب إليه. أما ' مُذهَب ' ، فتحيل على ' التمويه ' و ' الزيف ' : (وكل ما موه بالذهب فقد أُذهب، وهو مُذْهَب، والفاعل مُذهِب والإذهاب والتذهيب واحد، وهو التمويه بالذهب).

(ابن منظور، لسان العرب،١٩٩٤، ج:١، ص: ٣٩٥).

وتتشاكل ' مُذهِب ' ، بهذا المعنى، مع الوحدة ' المُذهِب ' ؛ اسم شيطان، باعتبارها وحدة دلالية خفية أو مضمرة. ويقوم التشاكل بينهما على أساس المقوم المشترك: [+خداع] أو [+ تمويه] ، في مقابل المقوم [+ اعتقاد راسخ] الذي تحتويه الوحدة الدلالية ' مَذهب ' .

وهكذا، فالتعدد المعنوي للوحدات الدلالية السابقة، يتحدد كذلك بالنظر إلى التحليل المعرفي، انطلاقا من اعتبار ' مَذهب ' ، تحويلا للمجال الفضائي (الذهاب)، وهو المجال- الأصل (أو الشاهد الأمثل)، إلى المجال- الهدف؛ الفضاء الذهني (الاعتقادي – الأخلاقي) . أما الوحدة الدلالية " مُذهَب " فإن مجالها الأصلي هو الاشتغال بأشياء في الفضاء (الذهب)، بينما مجالها – الهدف يحيل على الزيف والخداع بوصفهما فضاءين ذهنيين كذلك.

من هنا نجح أبو تمام -بالنسبة لنا- في وضع دلالة البيت الشعري ضمن مقصدية المدح بواسطة المبالغة وضمن مستويات متعددة لثنائية: التشاكل / اللاتشاكل، نوضحها كما يأتي:

	التشاكل	اللاتشاكل
المستوى الصوتي	- تراكم أصوات < ذ، هـ، ب، م.. >	- إضافة النون، مثلا ، وحذف التاء ...
المستوى التركيبي	- تراكم الفعل الماضي: [ذهبت ، التوت.] - تراكم الفاعل: [السماحة ، الظنون]	-التقابل التركيبي:- التنكير (مذهب)، والتعريف (السماحة....)

	التشاكل	اللاتشاكل
المستوى الدلالي	- مُـذهَب، المُـذهب: [+ تمويه] و[+ شيطان]... - مَـذهب، مُـذهَب: تحويل من المجال الفضائي إلى المجال الاعتقادي .	- مَـذْهَـب: [+ اعتقاد راسخ]، - مُذهَب: [+ خداع]، [+ تمويه]

- مستويات التشاكل/ اللاتشاكل

غير أن الجرجاني في دلائل الإعجاز، قدم أطروحات أخصب حول ' التكرار ' و ' الإعادة ' ، بالرغم من أنه لم يصرح بانتمائها إلى ' الجناس ' ، بحيث اكتفى باعتبارها من بين أهم مؤشرات النظم. وبذلك اهتم بقصد المتكلم أولاً، ثم بالنظم ثانياً، لكونهما يضيفان معاني جديدة إلى اللفظة أو العبارة المكررة، كما هو الشأن بالنسبة للاختلاف الدلالي بين الجملتين:

ـ زيد كالأسد.

ـ كأن زيدًا الأسد.

فالجملة الثانية تضيف - في نظره - إضافة جديدة إلى معنى التشبيه لا توجد في الجملة الأولى؛ فزيد- هنا- أقرب إلى الأسد من شدة ما يتصف به من خصائص الشجاعة. وقد ساهم في تشكيل هذا المعنى، قصد المتكلم، والنظم المتضمن للتكرار مع تركيب مختلف عن الجملة الأولى؛ إذ قدمت الكاف إلى صدر الكلام . ومن ثم عبر الجرجاني عن التعدد المعنوي "بالغرض" المضاف إلى المعنى الأصلي.

بيد أن دراسة التعدد المعنوي ضمن نظرية التشاكل العامة تمكننا من تقديم التفسير والتأويل النسقيين لمثل تلك الأنماط التكرارية، خاصة أن مفهوم "الجناس" في البلاغة العربية، يفتقد إلى البعد الإجرائي وإلى الكفاية الوصفية، والانسجام الاصطلاحي؛ فقد وظف المصطلح التجنيسي بعدة مفاهيم؛ "فالمطابق" – مثلاً- عند ثعلب: التجنيس بجميع أنواعه، وعند قدامة : التجنيس التام (مقابل المجانس)، وعند أبي طاهر: تجنيس الاشتقاق ، وعند ابن سنان: الاشتقاق وشبه الاشتقاق ... إلخ . كما نجد المفهوم الواحد بعدة مصطلحات، فما دعاه ثعلب "مطابقا " نعته ابن المعتز "بالتجنيس". ثم إن كل توظيف لمصطلحات من قبيل الترديد، والمعاضلة والمضارعة والمماثلة والمقاربة.... على النحو الذي قام به العمري (١٩٩٠)، من شأنه أن يضعنا في نسق مفاهيمي، له اقتضاءاته الابستمولوجية التي لا تنسجم وتصورنا التفاعلي القائم على بناء نموذج للجهة البلاغية في التأويل (شكري، ١٩٩٧، و٢٠٠٩)، تؤطره نظرية التشاكل العامة، حيث تقوم مكونات مختلفة بضمان التعدد المعنوي، مثل السياق (بنوعيه)، والأطر، والمقصدية.

ومن ثم فالتشاكل المشيد يحين الوحدات الدلالية؛ أي بقدر ما نفترض التشاكل، يطرح التباين باعتباره خاصية أساسية للوحدات الدلالية:

- شربت كأس خمرة .
- كسرت كأس خمرة .

ذلك أن المقوم [+ سيولة] في الوحدة الدلالية ' شربت ' ينتقي نفس المقوم بالنسبة للوحدة الدلالية كأس في الجملة الأولى. أما في الجملة الثانية، فإن المقوم [+صلابة] في الوحدة الدلالية ' كسرت ' ينتقي المقوم نفسه بالنسبة "للكأس" الثانية (راستي١٩٨٧).

وهكذا إذا كان كريماص (١٩٩٦) أول من وظف مصطلح التشاكل المستعار من حقل الفيزياء باعتباره يؤشر على المشابهة والانتماء إلى حقل أو ميدان أو مكان، فإننا - مع ذلك- لن نتبنى أطروحاته التي ظلت سجينة المحتوى في الخطاب السردي على الخصوص ، إذ قدم في كتابه الدلالة البنيوية تعريفا دلاليًا يستند إلى تكرار المقومات السياقية (العامة) .

إن الخطاب -في نظره - يحمل عناصر تبدو ظاهريًا متناقضة لكنها متشاكلة دلاليًا بفضل مبدأ التوسيع الذي يرتبط بالتعريف الخطابي، حيث مكونات الخطاب يشرح بعضها البعض، تارة عن طريق التوسيع والتكثيف، وتارة أخرى بواسطة التعريف والتحديد.

- **هذا الرجل أسد.**

فهذه الجملة حسب كريماص، تظل في سياقنا الاجتماعي أحادية الإحالة، بحيث إن بناء التشاكل ينتج عن تكرار المقوم السياقي [+ إنسان] الموجود في الوحدة الدلالية ' الرجل ' ، وفي الوحدة الدلالية ' أسد ' التي أسندت إليها صفة إنسانية؛ الشجاعة. ويمكن أن نحصل على تشاكل ثانٍ إذا ما وضعنا الجملة السابقة في سياق آخر هو: سياق الناس أسود وهذا يعني، أن الخطاب (أو الجملة الواحدة) قد يتأسس على أكثر من تشاكل (التشاكل المركب) بواسطة اختلاف التأويل واختلاف السياق .

لقد قدمنا سابقًا نقدًا لهذا التصور الذي يتجاهل المقومات العرضية الإيحائية، كما فسرنا التعدد المعنوي وبالتالي التشاكل المركب في ضوء العلاقة بين مختلف الحقول المعجمية، والأطر المعرفية.

وفي راستيي (١٩٧٢) نجد توسيعًا لمفهوم التشاكل، إذ يشمل كل وحدة لغوية معينة التشاكل هو كل تكرار لوحدة لغوية ما. فالتشاكل الأولي يتضمن -إذن- وحدتين للتمظهر مما يعني أن عدد الوحدات المكونة لتشاكل ما نظريا غير محددة. ومن ثم وجه هذا التعريف الدراسات الخاصة بالتشاكل نحو الحقل البلاغي - الأسلوبي (جماعة) .

بيد أن مفتاح (١٩٨٥) يقدم توسيعًا أشمل، بحيث يعتبر التشاكل متضمنًا لتشاكل النصوص مع بعضها البعض ومع ثقافة الأمة.

ويعزز الباحث تنميته هاته لمفهوم التشاكل بواسطة الاهتمام البارز" بالتشاكل التداولي" الذي أصبح يحتل موقعًا هامًا في التعريف باعتبار التشاكل تنمية لنواة معنوية بإركام لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضماناً لانسجام الرسالة.

وقد أرجع مفتاح وفق منظوره الدينامي، التشاكل التداولي إلى نواة دلالية واحدة هي الحياة / والممات، لأن التحليل التشاكلي - في نظره - القائم على التحليل بالمقومات يكشف عن بعض الثوابت الأنتروبولوجية الكونية. وهو ما ينسجم مع التصور المعرفي التجرباني الذي دافعنا من خلاله سابقًا عن وجود مقومات كلية بمثابة نواة تؤطرها التجارب الإنسانية المشتركة دون أي تجاهل لما قد يتفرع عنها من مقومات سياقية خاصة بكل ثقافة.

وعليه نؤكد بأن بناء التشاكلات يستند إلى القراءة والتأويل اللذين يطبقان إحدى أهم عملياتهما على الوحدات الدلالية، وهي المماثلة بواسطة مبدأ الإسقاط. وبذلك لا يمكن اعتبار معيار عدم التناقض أساسا لتوجيه استراتيجية القارئ نحو بناء انسجام الخطاب. ومن هنا فإن عملية البناء هاته ترتكز أساسًا على النظر في البعدين التراكبي والاستبدالي مع مراعاة مدى تأثير العلاقات التركيبية في إنتاج التعدد المعنوي دون الأخذ بقيد عدم التناقض.

إن هذه الاستراتيجية تمكننا من تحديد التشاكل الأفقي والعمودي في الخطاب (راستيي١٩٧٢). فالأول يحدد بواسطة افتراض الوحدة المعجمية التي تمثل حقله، وتصنيف الوحدات المنسجمة معه. وقد نشيد أكثر من تشاكل من خلال القراءة المتعددة للوحدات الدلالية. غير أن الحقول المشيدة هي حقول دلالية سياقية منسجمة مع ما ينتجه كل مجتمع من معارف وتصورات وفق أطر معرفية معينة.

وتؤدي القراءة الاستبدالية إلى تحديد التشاكل العمودي (أو الاستعاري) الذي يبنى على أساس العلاقة بين وحدتين دلاليتين، أو مجموعة من الوحدات الدلالية المنتمية إلى حقلين مختلفين. وهذا ما يفسح المجال لحصر المقومات الجوهرية أو العرضية بين الوحدات المتعالقة كما في التشاكل الاستعاري الوارد بين الوحدتين الدلاليتين ' رأس' و ' قمة ' في الجملتين:

ـ هذه قمة الجبل.

ـ هذا رأس الجبل.

إن المقوم المشترك بين الوحدتين ' رأس ' و ' قمة ' هو[+حد] باعتباره مقوماً جوهرياً فيهما معاً. لكن المشترك بين الوحدتين الدلاليتين ' ثابتة ' و ' حية ' في الجملتين المتواليتين هو المقوم [+حي] باعتباره عرضيًا في الأولى وجوهريًا في الثانية:

ـ هذه آثار حية .

ـ هذه آثار ثابتة .

وإذا كانت التشاكلات الأفقية والتشاكلات الاستعارية قطاعات أساسية للتشاكل الدلالي، فإنها تتنوع باختلاف المقومات المتشاكلة؛ العامة والجوهرية والعرضية، وذلك على النحو الآتي:

ـ التشاكلات العامة :

يمكن تفريع التشاكلات العامة إلى ثلاث طبقات تنسجم وتفريع راستيي (١٩٨٧) المقومات العامة إلى مقومات عامة دنيا ومقومات مجالية ومقومات عامة قصوى.

أ- التشاكل العام الأدنى:

يشيد هذا التشاكل انطلاقاً من تكرار مقوم عام أدنى يؤشر على وحدات دلالية تنتمي إلى نفس الحقل المعجمي؛ أي إلى الطبقة الأدنى للتعريف المتبادل بين الوحدات الدلالية. وعلى سبيل المثال نعتبر المقوم [+إنسان] مقومًا عامًا يكون التشاكل العام الأدنى بين الوحدتين الدلاليتين ' امرأة ' و ' رجل ' اللتين تنتميان إلى الحقل المعجمي الواحد. كما أن المقوم [+ سائل] يشكل - بواسطة التكرار- نواة التشاكل العام الأدنى بين الوحدتين ' حليب ' و ' ماء ' .

ب- التشاكلات المجالية:

يبنى هذا النمط التشاكلي بواسطة تكرار مقوم عام مجالي يؤشر على وحدات دلالية تنتمي إلى نفس المجال باعتباره مجموعة من الحقول المعجمية. فالمقوم [+ ملاحة] مقوم عام مجالي يحيل على الوحدتين الدلاليتين ' سفينة ' و ' قائد ' بحري ' .

ج- التشاكل العام الأقصى:

يرتبط تأويل التشاكل العام الأقصى بتكرار مقوم عام أقصى يؤشر على انتماء الوحدات الدلالية المتشاكلة إلى نفس البعد . فالمقوم [+حي] يحقق التشاكل بين الوحدات الدلالية ' رجل ' و ' بقرة ' و ' عصفور ' .

بيد أننا نختلف مع راستيي (١٩٨٧) الذي أضاف إلى التشاكلات العامة، التشاكلات الخاصة الناتجة - في نظره - عن تكرار المقومات الخاصة التي لا تدخل الوحدات الدلالية في استبدال معين، ولكن تجعلها تنفرد بما هو خاص. ذلك أننا نرى استحالة بناء التشاكل الخاص لأن تكرار المقوم الخاص يعني انتقاله إلى مواطئ المشترك والعام بين الوحدات الدلالية. وهذا ما يفسر اهتمام معظم الباحثين بتشاكل المقومات العامة فقط . ونوضح أطروحتنا هاته من خلال تحليل الجملة الآتية:

ـ أخيل أسد.

يعتبر راستيي المقوم المتكرر [+شجاعة] مقومًا خاصًا بكل من الوحدة الدلالية ' أخيل ' و ' أسد ' . غير أننا نعتبره مقومًا عامًا لأن قيد التكرار يوحد بين الوحدتين الدلاليتين، كما أننا يمكن أن نضيف إليهما عدة وحدات دلالية بواسطة إسقاط العنصر- ضم = التداولي: [+ شجاعة] ونذكر منها ' سيدنا إبراهيم ' و ' عنترة ' .

إن هذه الوحدات الدلالية (' أخيل ' و ' أسد ' و ' سيدنا إبراهيم ' ، و ' عنترة ') تنتمي إلى المجال الواحد: // القيم // الذي تنشطر عنه مقومات الشهامة والشجاعة.....

وإضافة إلى ما سبق نستبعد كذلك مفهوم التشاكل المختلط Isotopie Mixte الذي يعني- حسب راستيي- تكرار مقوم خاص بوحدة دلالية ما على شكل مقوم عام في وحدة أخرى. ذلك أن التكرار - في نظرنا - وضمن نفس المساق يوحد بين الوحدات الدلالية المتجاورة بواسطة الإسقاط المتبادل الذي ينقل الخاص إلى العام، بينما تظل المقومات الخاصة إذا وضعت في وضع إقصائي وبدون قيد التكرار؛ مثل التقابل بين المقومين الخاصين [+حي] و[-حي] المتعلقين على التوالي بالوحدة الدلالية ' الإنسان ' وبالوحدة الدلالية ' الصخور ' في الجملة الآتية:

ـــ يستفيد الإنسان من الصخور النفطية.

بيد أن المقوم [+حي] تكرر في الجملة: النساء والأطفال أولًا باعتباره مقوماً عاماً، بينما انتقل بواسطة التصحيح في الجملة: الصخرة تبكي من وضعه، كمقوم جوهري خاص في الوحدة الدلالية ' تبكي ' إلى وضع المقوم العام العرضي في الوحدة الدلالية "الصخرة"، فنحصل على تشاكل عام عرضي يقصي – بعد الإسقاط – وظيفة التقابل وصفة الانفراد بالمقوم [+ حي] بالنسبة للوحدة المعجمية تبكي. وهذا يعني أنه وحد بين الوحدتين الدلاليتين لصالح مؤولة من قبيل:

" المرأة القاسية تبكي"

غير أن الجملة: الصخرة صلبة تتوفر على المقوم [+ صلابة] باعتباره جوهريًا عامًا في الوحدتين معاً، مما يعني إمكانية بناء تشاكل عام جوهري.

وعليه كل التشاكلات في نظرنا عامة، لكنها تنشطر حسب السياق إلى: تشاكلات عامة جوهرية إذا حافظ المقوم المشترك على نمطه الجوهري في الوحدات الدلالية المتجاورة، وإلى تشاكلات عامة عرضية إذا تكرر المقوم بوصفه عرضيًا في الملفوظ.

وبذلك تمثل نظرية التشاكل وما تقتضيه من مفاهيم استراتيجية أساس القراءة التفاعلية للخطاب بالنظر إلى أهمية العلاقات المرآوية الواردة في تشييد المؤولات، بين آليات المقصدية والعوالم الممكنة والتعيين، وهو ما يمكن بحول الله الدفاع عنه في سياق آخر يسمح بتحليل خطاب أكبر من قبيل الخطاب الشعري أو الخطاب الروائي وغيرهما.

إن التشاكل بوصفه آلية بلاغية يساهم في تشكيل قراءة النص على أساس رد عناصره غير المنسجمة ظاهرياً إلى نسق منسجم يؤول العالم وفق مقصدية معينة.

ونقدم في هذا الحيز نموذجًا لقراءة مكثفة تبئر التأويل الدلالي لبيتين شعريين:

قال ابن عباد في جارية اسمها وداد: (ابن عباد، المعتمد،١٩٧٥، الديوان، ص. ٧٢).

اشـــرب الكأس في وداد ودادك

وتأنس بذكـــــرها في انفرادك

قمر غاب عن جفونك مـــــرآه

وســــــــكناه في سواد فؤادك

لتأويل هذين البيتين الشعريين نشيد تشاكلات بلاغية منتظمة لمجموعة من الصور البلاغية في القالب الدلالي من قبيل التعدد المعنوي والتشاكل المتعدد.. وهو تأويل لعوالم ممكنة انطلاقاً من مقصدية المتلقي التي قد تتلاءم ومقصدية الشاعر ــ المنتج وقد تتجاوزها.

- القالب الدلالي:

إن التعدد المعنوي الوارد بين الوحدتين الدلاليتين ' وداد ' الأولى ([+ حب]) ووداد الثانية([+ اسم علم]) يلبي حاجتهما إلى التشاكل الدلالي لأن المقوم [+ حب] مقوم عرضي قوي في اسم العلم وداد. وهذا ما يؤشر على تشييد جهة دائرية تتسق بناءً على تشاكل العشق الذي تراكمه الوحدات الدلالية ' الكأس '، ' وداد، ' ودادك ' ' فؤادك '، ' قمر ' ... بيد أن هذه الجهة تنعكس عليها مرآويا الجهة المتشابكة في القالب الدلالي بالنظر إلى أن تكرار كل وحدة معجمية ليس خطيًا متتابعًا، بل إنه متقطع بواسطة الزمن الفوضوي، إذ نجد – مثلاً – الوحدة المعجمية قمر في الشطر الأول من البيت الثاني والوحدة فؤادك في آخر شطره الثاني. إن الجهة الدائرية المشيدة لا تسم تشاكل العشق (التشاكل الأول) فحسب، وإنما تسم –كذلك – التشاكل الثاني؛ تشاكل العزلة الذي يوجد في حالة فحص بواسطة تراكم الوحدات الدلالية ' تأنس '، ' ذكرها '، انفرادك '، ' غاب '، ' سواد ' .. وهي وحدات لا تنتظم خطيًا مما يؤكد تفاعل التشاكلات الدائرية والفوضوية في القالب الدلالي الفرعي: القالب المعرفي ــ التداولي الذي نشطناه لكونه يقدم معلومات عن أنماط التشاكلات وفق مبادئ الانتقاء والإسقاط والسياق والمساق . ومن هنا يمكن تحديد المعلومة القديمة (المحور) والمعلومة الجديدة (البؤرة)، وتأويل المعاني الاستلزامية ــ الحوارية لفعلي الأمر اشرب وتأنس. هكذا نفترض طرح التساؤل التالي:

ــ من يؤنسني في شرب الكأس ؟

فإذا كان المكون- المحور هو شرب الخمر، فإن البؤرة – الجديد هي وداد الجارية بوصفها مكوناً منبورًا في البيت الأول، وهي قمر المنبورة نبر الكلمة كذلك في البيت الثاني. ولذلك فإن تأويل فعلي الأمر: اشرب و تأنس يقتضي استحضار أهمية هذا العنصر- البؤرة في تنشيط الدينامية التواصلية للبيتين الشعريين في جهة مطاطية توسع المعنى وتنميه. فغياب وداد الجارية يحول فعل الأمر إلى عزاء: عزاء الشاعر لنفسه لتعويضها بوداد – الحب وبالذكر- المؤانسة .

وانطلاقًا من الرابط التداولي (سياق الجواري) يمكن تأويل عبارة اشرب الكأس التي تتوفرعلى

مقومات قوية للمجاورة الكنائية تأويلاً معرفياً بواسطة التعيين في تشاكل موسع؛ لأن المجاورة توسم بزمن التوسيع.

إن نفس الرابط التداولي (سياق الجواري) يمكن من تأويل الوحدة الدلالية ' قمر ' بوصفها وحدة ــ أصل تعين الوحدة ــ المرسل إليه: ' وداد "-الجارية: لكن التأويل هنا يتعلق بالمشابهة (الاستعارة) التي توسم في التشاكل الموسع بزمن الانكماش، إذ أدمج عالم الإنسان في عالم الطبيعة .

بيد أن القالب الدلالي لا يحيط إحاطة شاملة بتأويل كل الصور البلاغية في كل التشاكلات. ولذلك نسقط القالب الصوتي عليه بواسطة منفذ الكلمة ــ المحور: انفراد التي نشيدها من خلال التراكم الصوتي للنون (تفحص في خمسة مواقع) والفاء (تفحص في ستة مواقع) والراء (تفحص في خمسة مواقع) والدال (تفحص في سبعة مواقع). إن هذه الكثافة العالية الموسومة بالزمن الإيقاعي تؤشر على أن القالب الصوتي مليء بالإطنابات التي تلبي حاجة الوحدات الصوتية إلى التشاكل وهو ما يمكن تنميته في سياق دراسة أخرى بحول الله وقوته...

٣ــ تركيب وآفاق:

قدمنا – إذن – دراسة لمفاهيم استراتيجية أساس في هندسة التأويل؛ حيث إن من شأن كل تمثل رصين لخلفياتها وآفاقها أن يجنب النقد العربي الحديث لغط المصطلحات والجمع في القراءة الواحدة بين المفهوم ونقيضه، بل إن بناء التشاكل في الخطاب ليس ترفًا لغويًا تحسينيًا لأن تشييد المعنى هو تشييد للعوالم وخلق لجسور التواصل والتسامح والحوار بين بني البشر في مختلف الأكوان.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

- **ابن الأثير، ضياء الدين،** *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.
- **ابن الخطيب ، لسان الدين ، (١٩٨٩)** *ديوان لسان الدين بن الخطيب*، تح. محمد مفتاح ، مج.١ ، دار الثقافة ، البيضاء.
- **ابن الصيرفي، علي،** *المختار من شعر الشعراء الأندلس*، تح. عبد الرزاق حسين، دار البشير عمان، ١٩٨٥.
- **ابن المعتز ، عبد الله، (١٩٣٥)،** *البديع*، تح. اغناطيوس اكراتشكوفسكي، لندن.
- **ابن عباد، المعتمد، الديوان،** تح. *رضا السويسي*، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٥.
- **ابن منظور، أبو الفضل، (١٩٩٤)،** *لسان العرب*، (المواد المذكورة)، دار صادر، بيروت، ط٣.كر،

مكتبة الخانجي .

- **بنكـراد، سـعيد(١٩٩٤)** *سـيميائيات بـورس*، في مجلة علامات، ع.١ ، مكناس.
- **جحفة، عبد المجيد (٢٠٠٠)**. *مدخل إلى الدلالـة الحديثة*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب.
- **الجرجاني**، *عبد القاهر أسرار البلاغـة*، (١٩٩١)، تح. محمود شاكر.
- **شـكري إسـماعيل (٢٠٠٩)**. في معرفـة الخطـاب الشعري، دلالة الزمان وبلاغـة الجهـة، دار توبقـال للنشـــر الـــدار البيضـــاء، (حـــائز عـــلى جـــائزة المغرب٢٠٠٩).
- **شكري، إسماعيل (١٩٩٨)**. *تعيين التغير وتعيـين المقصـــدية*، في مجلـــة دراســـات مغاربيـــة، ع.٧، مؤسسة الملك عبد العزيـز آل سـعود للدراسـات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء .
- **شكري، إسماعيل (١٩٩٩)**. *نقد مفهوم الانزياح*، في مجلة فكـر ونقـد، ع.٢٣ ، دار النشر المغربيـة، الدارالبيضاء.
- **غاليم، محمد (١٩٨٧)**. *التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم*، دار توبقال، الدار البيضاء.
- **مفتاح، محمـد (١٩٩٠)**. *ديناميـة الـنص*، المركـز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- **مفتاح، محمد (١٩٩٤)**. *التلقي والتأويـل*، المركـز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

References

- **Dowty, D.(1979),** *Word Meaning And Montague Grammar*, Reidel, Dordrecht, Holland.
- **Fauconnier, G.(1984),** *Espaces Mentaux*, Minuit, Paris.
- **Greimas, A.J. Et Courtés, J.(1979),** *Sémiotique : Dictionnaire Raisonné De La Théorie Du Language*, Hachette, Paris.
- **Groupe u (1977),** *Rhetorique De La Poésie*, Complexe , Bruxelles .
- **Groupe u (1982),** *Rhétorique Générale*, Seuil, Paris .
- **Hintika, J. (1994),** *Fondements D'une Théorie Du Langage* , P U F , Paris .
- Iser , W.(1976) , *L'acte De Lecture* , Tra. Par Sznycer, E. , Pierre Mardaga, Bruxelles
- **Lakoff, G.(1987),** *Women, Fire, And Dangerous Things* , University Of Chicago Press, Chicago And London.
- **Lakoff, G.(1988),** *Cognitive Semantics*, In : Eco, U . And Violi, P.(eds) Meaning And Mental Representations , Indiana University Press .
- **Rastier, F.(1987),** *Sémantique Interprétative*, P U F , Paris.
- **Rastier,F.(1972),** Systématique Des Isotopies, Dans: Essais DeSémiotique Poétique, Larousse, Paris